عبدة الشيطان

في العراق

مجموعة مشاهدات وتتبعات شخصية في المذهب اليزيدي

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

الطبعة الثانية

هي مصححة ومنقحة وفيها زيادات كثيرة وتصاوير مهمة
شبكة كتب الشيعة

١٣٥٠هـ - ١٩٣١م

ت في مطبعة العرفان بصيدا : سورية

٢

كلمة « فتى العرب »

زرت الشام في صيف عام ١٩٣١ وتعرفت بالأستاذ الكبير السيد معروف الارناؤوط صاحب « فتى العرب » فاطلع على رسالتي في اليزيدية فأحب أن ينشرها في جريدته تباعا وقد نشرها في عدة أعداد مصدرة بالكلمة الآتية :

هذه سلسلة مقالات شائقة خص بها الكاتب العراقي المعروف الأستاذ عبد الرزاق الحسني « الفتى العربي » لنشرها وقليلون جدا الذين يعرفون من هم اليزيديون وما هي معتقداتهم وبماذا يؤمنون وماذا يعبدون ولكن الاستاذ الحسني ركب متن المخاطر في سبيل العلم واقام فيها بين أبناء هذه الملة وفي عاصمتهم ستة اشهر متحملا أنواع المتاعب متظاهرا بالخرس والصمم حتى بلغ غايته وأدرك

وطره من الاطلاع على هذه المعلومات القيمة التي تضمنتها مقالاته.

وسيرى القارئ هذه البحوث تفيض معرفة واختبارا، كما يجد فيها اكتشافا جديدا لناحية من نواحي القطرين الشامي والعراقي الذي يقطن اليزيديون بينهما في جبال سنجار، ولذة ومتعة

فنشكر للاستاذ الحسني عاطفته نحو هذه الجريدة التي خصها ببحثه القيم ونحث المطالعين على مواصلة قراءة هذا الموضوع الجليل

كلمة عامة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مجموعة مشاهدات وتتبعات شخصية في المذهب اليزيدي عنيت بجمعها ونشرها خدمة للعلم والتاريخ وقد وضعتها في فصول ثلاثة مع مقدمة وخاتمة . اما المقدمة فتبحث عن نشوء المعتقد من وجهة عامة وعن العوامل المؤثرة في تطوره ، واما الفصول الثلاثة فهي :-

اولا = تاريخ اليزيدية ومنشأهم . وفيه : تمهيد ، اليزيديون في التاريخ ، عدي بن مسافر ، مرقد الشيخ عدي لماذا سموا يزيدية؟ كيف عبدوا الشيطان؟ منازلهم وعددهم

ثانيا = عقائد اليزيدية . وفيه : الكون ، التكوين ، البشر ، الطوفان ، الفداء السناجق ، فكرة الخير والشر ، الكتب المقدسة ، كهنة اليزيدية

ثالثا = طقوس اليزيدية . وفيه : الصوم ، الصلاة ، الحج ، الزواج ، العادات والتقاليد ، الموت والجنازة ، تناسخ الأرواح .

واما الخاتمة فقد ضمنتها نبذة عن الاضطهادات التي لاقاها اليزيديون مع كلمة في معتقدهم منقولة عن إحدى المصادر الخطية ، وحسبي بذلك انني أديت ما في وسعي من الواجب العلمي والأدبي مؤملا أن يتصدى غيري لإتمام مابدأت به وتمحيص ما اقدمه في هذه الرسالة الموجزة

وقداعتمدت في هذه الرسالة عدا الاختبار الشخصي على المصادر التالية :—

١ كتاب الجلوة ٢ مصحف رش (وهما من كتب اليزيدية المقدسة) ٣ كتاب الانساب للسمعاني ٤ قلائد الجواهر ٥ بهجة الأسرار ٦ وفيات الأعيان ٧ اليزيدية ومنشأ نحلتهم ٨ تاريخ الموصل ٩ مجلة العرفان ١٠ مجلة المشرق ١١ مقالة نفيسة في منشأ اليزيدية للبحاثة

الفاضل المحامي عباس العزاوي ١٢ مقالة نفيسة في مقام الشيخ عدي للبحاثة الفاضل يعقوب سركيس ١٣ مصادر خطية وفوتوغرافية كثيرة ... الخ

المقدمة

لا نكران في ان للوسط الطبيعي والبيئة الاجتماعية تأثيراً على عقلية البشر وتفكيره وشعوره ، فالبشر يستشعر من الوسط الطبيعي بافكار تدور حول الكون والحياة وما يختلف فيه من الآراء والأفكار والمعتقدات ، إنما هو نتيجة الثقافات المختلفة والتوريث القومي . لذا نجد الأمم تختلف في تفهم الكون وتحديد مبدئه ونهايته اختلافا يتناسب والبيئة التي يعيش فيها كل قبيل منها وبحسب ما يتصوره البشر ويفهمه من الظواهر

الكونية ويعللها به ، يصوّر فكرته في الخالق ونسبته اليه .
فاختلاف الأديان إذن أمر مسبب عن اختلاف مدارك البشر وأذواقهم والبيئات التي يعيشون فيها

ولم تكن الأديان في بدء تكونها مختلفة اختلافها الآن لأن سلالات البشر الأولى لم تكن في عاداتها وتقاليدها قد اختلفت اختلافا كبيراً ولم تكن اللغة بهذا القدر من السعة والاحاطة حتى تتباين العقائد تباينها الحالي ذلك لأن اللغة اكبر واسطة في التعبير والافصاح عما يختلج في ضمير الإنسان لدى تأثره بالمظاهر الكونية .
أما وقد اتسعت اللغات وتشعبت وتباينت العادات والتقاليد ، أصبحت الأديان وهي مبتنية على هذين الأساسين — تختلف اختلافا عظيماً وابتدأت تشعب إلى مذاهب وطرائق ، تشعب البشر إلى قبائل وطوائف .

فالأمة التي دخلت معترك الحياة وتنازعت أسباب الوجود ، دخل دينها بين العوامل الاجتماعية وسجله التاريخ

وعرّف شكله وأسسه أما الأمة التي اعتزلت ميدان الحياة وتجنبت طرق التزاحم ، أصبحت مجهولة لا يكاد التاريخ يقف على شيء من عقائدها ولا تكاد يد البحث تصل إلى تفهم دينها إلا بأن تختلس بعض المعلومات عنه اختلاسا .

واليزيدية إحدى تلك الطوائف التي تكتمت في اظهار عقائدها تكتما شديدا يعيي المؤرخ أن يعطي عنه نتيجة قطعية او أن يصوره تصويرا نهائيا معتقدة بأن التخفي في اقامة الشعائر الدينية وعدم اعلام الغير بها والتظاهر بغير المعتقد الأصلي ومجاراة الأقوام السائدة ولاسيما المسلمة منها في معتقداتها ، اصل من أصول المعتقد اليزيدي . لهذا نرى الباحثين في هذا المذهب يختلفون في نتائج تدقيقاتهم اختلافا بينا يجعل دارس تاريخ هذه الديانة غير مطمئن إلى ما وصلت اليه تحرياته ولا مقتنع بصحة تلك المصادر قناعة علمية

فبينا نرى جماعة من المؤرخين ينسبون اصل اليزيدية

إلى (يزيد) بن معاوية الأموي، نجد إلى جانبهم فريقا آخر يرجع أصلهم إلى دين آري ويرى ان كلمة (يزيدية) مشتقة من الكلمة الفارسية = او الكردية = (يزدان) التي تعني الله . وفي الوقت الذي يقوم البعض فيدعي بأن كلمة (اليزيدية) مشتقة من لفظه (يزد) البلد الفارسي المشهور نجد إلى جانبه فريقا آخر ينسبهم إلى يزيد بن انيسة الخارجي وهكذا نجد كل قسم من الباحثين في تاريخ المعتقدات والأديان ينسب هذا القوم إلى فريق او بلد او شهير من مشاهير التاريخ حتى وجد بين الفاظ معتقداتهم ما يصحح تلك النسبة

وقد زرت قضاءي سنجار وشيخان بلواء الموصل اكثر من مرة (بين عام ١٩٢٥ وعام ١٩٣٠) حيث مساكن اليزيديين ومحال اقامتهم ومعابدهم المقدسة لديهم ووقفت على شيء ليس باليسير من كتابيهم المقدسين « الجلوه » و « مصحف رش » واطلعت على قسم مهم من عقائدهم

وتقاليدهم واجتمعت ببعض اهل الرأي والاطلاع منهم وطالعت ما كتبه عنهم المؤرخون وبعض المستشرقين فعن لي أن أكتب هذه الرسالة في منشئهم ومعتقدهم وطقوسهم واني لا أضمن صحة ما نقلته عنهم ولا انقده بل أتركه للباحثين الذين قد يأتون من بعدي وحسبي بذلك اني اول من يكتب عن مشاهداته في هذا المقام وكم ترك اول الباحثين لآخرهم من مجال

الفصل الاول

تاريخ اليزيدية ومنشأهم

١ تمهيد

جاء الإسلام فقضى على كثير من المعتقدات والنزعات قضاءاً ظاهرياً واختفت تحت سيطرته المذاهب القديمة التي شملها نفوذه ولم يمر عليه اكثر من قرنين حتى بدأت تلك المعتقدات تظهر بعد اختفائها متخذة من نصوص الدين الإسلامي مظهرا لهـا ومبررا لانتشارها فكان القرآن وكانت السنة وكان الاجتهاد والقياس من اكبر المصادر التي تستمد منها تلك المذاهب أضف إلى ذلك الطرائق ومبادئ التصوف التي كان للخيال فيها مسرح واسع فلم ينتصف القرن الثاني للهجرة إلا وتشعبت الطرائق والمذاهب باسماء كثيرة مختلفة . و كان للأقوام التي أسلمت مرغمة

الدور المهم في هذا التشعب إذ كان يكفي لإنشاء المذهب او المعتقد بين كثير من الأقوام غير المتحضرة ، ان يظهر داعية عليه ظاهرة الزهد فيغري الأقوام الذين يحتفون به وتؤخذ تصريحاته وآراؤه فتتحور وتتناقلها الالسن والأفواه فتصبح معتقدا محاطا بكثير من خرافات العامة ونزعاتهم وهذا ما نشاهد أثره في بحثنا عن منشأ اليزيدية

٢ اليزيديون في التاريخ

كان يسكن في مواطن اليزيدية قبيل يدعى «ترهايا» وكان هذا القبيل ينتحل دين المجوسية والمظنون انه من بقايا الأقوام التي نزحت من بلاد فارس عندما طغى عليها سيل الإسلام وانها اتخذت من جبال (حلوان) مأوى وملجأ منعزلا لها فكانت بمأمن ، إلا أن انتشار الإسلام ومجاورة الأقوام العربية لهذه الأماكن ، أوجب أن تختفي تلك المعتقدات وان يتظاهر أولئك القوم أمام العرب الفاتحين ببعض عقائد الإسلام وهذا ما نرى أثره

الآن في تظاهر اليزيدية ببعض معتقدات المسلمين إلا ان استمرار هذا القبيل المنعزل على هذا النوع من الاعتقاد أوجب ان يضعف فيه الدين القديم وان يأتي منه جيل يكون فيه ابناؤه لا يعرفون إلا خليطا من المعتقد الأول البائد ومظاهر من المعتقد الحديث المقتبس فكانوا ضعافا في كلا العقيدتين

حدث التصوف وحدثت الطرائق وانتشر شيوخ الطرق في الأقطار الإسلامية وبين الأقوام التي خضعت للمعتقد الجديد فكان لكل شيخ طريقة وأتباع وكان الشيخ إذا حل بين الأقوام البدوية ، وجد فيها المرتع الخصب لمعتقداته وآرائه . وكان كثيراً ما يموت بعض الشيوخ بين تلك الأقوام فيبقى لهم مريدون من أبنائها فتبقى طريقته تحت تأثير نزعات القوم الذي حلّ فيه والقبيل الذي غرس فيه بذور معتقداته . وهكذا نجد (الشيخ عدي بن مسافر) في التاريخ اليزيدي يخرج

كرجل زاهد منقطع في الأماكن المنعزلة ثم ينزوي بين اقوام بسطاء يعتقدون بصلاحه وينقادون لآرائه ومعتقداته ويغالون فيه غلوا يتجاوز الحد ويؤدي إلى قولهم فيه بما لا يوافق شرعا ولا عقلا

ويسعى هذا الرجل الصالح إلى تهذيب هذا القوم الذي حل في وسطه فيلقي عليهم الموعظة ويبشر فيهم بالحكم فيكون لكلماته أثر في النفوس وتكون بعد مدة معتقدات راسخة في الأفئدة . ويموت الشيخ فيخلف من بعده من يرأس طريقته فيسير الرئيس الجديد بمثل ما سار عليه سلفه وتدول الأيام فيزيغ القوم عن المعتقد الصالح وتظهر براعم المعتقد القديم الذي اختفى تحت تأثير تعاليم الشيخ ويعود القوم إلى معتقدات توارثوها عن أجدادهم واسلافهم

فأجداد اليزيدية كانوا على دين لا توحيد فيه و كان القبيل الذي يؤمن بذلك الدين هم التيراهية (نسبة إلى مذهبهم ترهايا) ثم دخلهم الإسلام فاختفت عقائدهم الاولى.

ثم ظهرت المعتقدات والطرائق والبدع في أواسط القرن الثاني فكان المجال واسعا لأن يظهر هذا الفريق من الناس ما كان يتوارثه عن آبائه الأولين من معتقدات . ثم كان زمان الشيخ عدي فكان لليزيدية طريقة إسلامية خاصة ثم مات الشيخ عدي وجاء من بعده خلفاؤه فحدث الزيغ في المعتقد اليزيدي في زمن الشيخ حسن (الملقب بشمس الدين) — أحد شيوخهم — ثم تسربت اليهم مبادئ المانوية والزردشتيه ودخلت معتقدهم فأصبحوا بنظر المسلمين من الكافرين !

٣ الشيخ عدي بن مسافر

أجمع المؤرخون واصحاب كتب الانساب على صلاح الشيخ عدي وورعه وزهده ورفع معظمهم نسبه إلى مروان الحكم و كان شيخ طريقة خاصة تدعى بالطريقة العدوية

ولد في « بيت فار » من أعمال بعلبك بسورية وعمر تسعين عاماً قضاها في الزهد والتقوى . و كان أبوه [مسافر]

رجلا صالحا ، انقطع للعبادة في غابة من الغابات اربعين سنة (راجع قلائد الجواهر ص ٨٨) ورأى بعد انتهائها رؤيا مؤداها ان قائلا يهتف به ان (اخرج من هذه الغابة واذهب إلى زوجك واتصل بها يأتك الله وليًّا يذيع ذكره وينتشر فضله في الخافقين) وقد قام على أثر هذه الرؤيا وخرج من الغابة وجاء أهله فامتنعت من موافقته إلا أن يخرج ويصعد منارة البلد فينادى بالناس انه هو القادم . فصعد المأذنة ونادى (يا أهل هذا البلد أنا مسافر قدمت وقد أمرت ان أعلو فرسي فمن علا فرسه أتاه ولي) ثم نزل فلبى كثير من الناس نداءه فولد لأجله ٣١٣ وليا

ونسب صاحب (قلائد الجواهر) كثيراً من الخوارق حصلت اثناء حمله كتسليم الأولياء عليه وهو في بطن أمه وجوابه بعد ولادته وتكلمه في أيام طفوليته . وقد نشأ منشأ حسنا وقصد في ايام صباه بغداد = حيث كانت كعبة القصاد = وأخذ العلم عن أعاظم فضلائها وعاصر فطاحل

علمائها يومئذ كالشيخ احمد الرفاعي والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ علي الهيتي وغيرهم فنال شهرة عظيمة في مجاهداته وحسن أخذه ثم انقطع وأخذ العزلة فاختار جبال هكار وآوى إلى المغاور مجردا

ثم حصلت له المتابعة والتف به اهالي تلك المواطن وتحدث الكثير من المشايخ بفضله وزهده « راجع بهجة الأسرار ص ١٥٠ ». فكان التفاف الناس حوله داعية إلى خروجه من عزلته وانقطاعه إلى ارشاد الكرد الجبليين المحيطين به فكثر اتباعه ومريدوه وكان اول من قال بحرمة اللعن مطلقا وحتى لعن الشيطان. وسبب ذلك — على ما يرى احد الفضلاء — هو انتشار عادة اللعن والسب بين الأقوام ورغبة الشيخ في اجتناب السب والثلب واللعن ولكن هذه الرغبة والموعظة الحسنة ، قد صادفت ردفعل فجعلها اليزيديون معتقدا دينيا يحرم به لعن الشيطان وتطور إلى الاعتقاد — بعد وفاة الشيخ عدي — بمشاركة الشيطان

الله في خلق الكون ومن هذه الناحية يظهر المعتقد المثنوي بارزا بين معتقدات اليزيدية

وممن ترجم الشيخ عدي بن مسافر ، ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٦) فقال « الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان = كذا املى نسبه بعض ذوي قرابته = الهكاري مسكنا العبد الصالح المشهور الذي تنسب اليه الطائفة العدوية . سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون فيها = كذا = وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها .

وكان قد صحب جماعة من اعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل عقيل المنجي وحماد الدباس وابي النجيب عبد القادر الشهرزوري وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع إلى جبال الهكارية من اعمال الموصل وبنى له هناك زاوية ومال اليه اهل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع

لأرباب الزوايا مثله و كان مولده في قرية يقال لها (بيت فار) من اعمال بعلبك . والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائه في بلده بالهكارية ودفن بزاويته رحمه الله وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة . وحفدته إلى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة» انتهى ما كتبه ابن خلكان قبل وفاته عام ٦٨١ هـ (١٢٨٢م)

وترجمه ايضا جماعة من افاضل المؤرخين فيهم ابن الوردي وابن الاثير وابن الفرات وابو الفداء فلم يخرجوا في كتاباتهم عما ترجمه به ابن خلكان إلا من حيث تاريخ الوفاة فإن بعضهم رأى ان وفاته كانت في عام ٥٥٥ هـ . وقد اجمع هؤلاء على انه «اي الشيخ عدي» كان رجلا فاضلا صحب جماعة من الأخيار والمشاهير وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه امامهم

وفي « اليزيدية ومنشأ نحلتهم ص ١٢ » ان قد وردت قبل النسخة الامريكية من كتاب الجلوة كمقدمة لها نبذة عن الشيخ عدي نثبتها هنا دليلا على مبلغ جهلهم بالتاريخ وخلطهم بين الازمان ونموذجا لما في كتابتهم من الركاكة وسوء التعبير وهذا نصها : (في زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هجرية كان منصور الحلاج وشيخ عبد القادر الكيلاني في ذلك الوقت ظهر انسان اسمه الشيخ عدي من جبال الحكارية (اي الهكارية) اصله من اطراف حلب او من بعلبك جاء وسكن جبل لالش (اوردها ياقوت في معجمه لياش) قريب مدينة الموصل نحو تسع ساعات والبعض قالوا انه من اهل حران ونسبته إلى مروان بن الحكم فإنه شرف الدين ابو الفضائل عادي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان و كانت وفاته سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هجرية (كذا) وقبره يزار الآن قرب قرية باعدري (اوردها ياقوت